UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

موقف المستشرق واشنطن إرفينج عن معجزات محمد صلى الله عليه وسلم (عرض ونقد)

Stance of the orientalist Washington Irving with reference to the miracles of the Prophet Muhammad (PBUH): A descriptive and critical study

Abdul Malik
PhD Scholar, International Islamic University Islamabad

Dr. Yousaf Muhammad Ahmad
Assistant Professor, Faculty of Usuluddin, Department of Seerah & Islamic History, IIUI

Abstract:

No doubt, the Holy Quran is an apparent miracle of the Holy prophet (P.B.U.H) due to its unique way of statement. Those orientalists who believe in revelation are agreeing to the miraculous status of the Holy Quran while they are not agreeing upon the other miracles unanimously. Majority has denied the other miracles of the Holy prophet (P.B.U.H). In this paper, the famous book "Muhammad and his successors" of the prominent American orientalist Washington Irving is analyzed thoroughly. The researcher fined out that the aforementioned author acknowledged just the miracle status of Holy Quran among all miracles of the Holy prophet (P.B.U.H). Thus he denies categorically all other miracles which have been related to the Holy prophet by Islamic historians and seerat writers. He disagrees to the physical event of Mi'raj of Holy prophet, despite he considers it a dream. According to him, all this was a dreaming story which the Holy prophet explained later.

Keywords: *Washington Irving, Muhammad successors, Miracles, Orientalist.*

مقدمة:

لم يزل ولا يزال الإسلام موضوعا للبحث والدراسة عند العلماء من كل بقاع الأرض، فلم يمر يوم ولا ساعة إلا يكتب وينشر فيه عن هذا الدين القيم وعمن جاء به وهو شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد تناول ولا يزال يتناول سكان هذا الكوكب–سواء كانوا مؤمنين به أم لم يؤمنوا به– حياته وسيرته بالبحث والدراسة. ومن بين هذه الدراسات والبحوث نجد عددا كبيرا جدا للمستشرقين من الجنسيات المختلفة يجعلون حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام بشكل عام موضوعا للبحث والدراسة، ويتخذون مواقف–سيئة أو حسنة– من الأحداث التي نقلها المؤرخون وأصحاب السير حول حياته، ولكل منهم هدف وغرض يريد أن يناله من خلال بحثه ودراسته. ثم إننا نجد من بين موضوعاتهم المشتركة هي: موضوع معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن الكريم، والتي منحها الله تعالى

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

كحجة وبرهان على صداقته وحقيته، فنجد أكثرهم مصرين على إنكارها إما لتشكيكا في إسنادها وثبوتها عنه–صلى الله عليه وسلم– وإما كونها خلافا للعقل والطبيعة.

وفي هذا البحث المتواضع سنقوم بمعرفة رأي المستشرق الأمريكي الكبير، واشنطن إيرفنح(Washington Irving) في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال كتابه: محمد وخلفاؤه (Mahamet and his Successors).

موضوع البحث:

يتناول هذا البحث مناقشة رأي المستشرق الأمريكي واشنطن إرفنج(Washington Irving) حول معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال كتابه:محمد وخلفاؤه، (Mahamet and his Successors). والوقوف على معرفة الأسس التي اعتمد عليها إرفنج لاتخاذ موقفه– موقف الإنكار أو الإثبات–، كما يقدم صورة توضيحية للمؤلف ولكتابه، لأنه لم ينل عناية كبيرة عند الباحثين والدارسين في هذا المجال.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى أمور تالية:

1–التعرف على المستشرق الأمريكي إرفنج، وعلى حياته العلمية.

2– التعرف على الكتاب: محمد وخلفاؤه.

3– معرفة رأيه ونظرته إلى المعجزات التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن الكريم.

أسئلة البحث: حاولنا أن يكون هذا البحث إجابة على الأسئلة الآتية:

1– من هو واشنطن إرفنج، وما هو كتابه محمد وخلفاؤه؟

2– ما هي نظرة المستشرق إيرفنج إلى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم؟

3– ما هي الأسس التي اعتمد عليها إرفنج في إنكار المعجزات إن كان منكرا لها؟

خطة البحث:

قسمنا البحث إلى مبحثين، الأول يحتوي على حياة المستشرق إرفنج وكتابه محمد وخلفاؤه، والثاني يحتوي على الموضوع الرئيسي لهذا المقال، وهو: معرفة رأيه في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: حياته وكتابه

ولد واشنطن إرفنج(Washington Irving) في مدينة نيويورك، في الثالث من شهر إبريل عام 1783م، في أسرة مهاجرة من بريطانيا، وبالتحديد من اسكتلندا إلى أمريكا، حيث أبواه قد هاجرا قبل عشرين عاما من ولادته أي عام 1763م. ووالده كان تاجرا ويعد من رواد الأسواق التجارية الأوائل

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

في نيويورك، بعد أن ترك العمل في مجموعة البحارة، التي امتهنها صبيا ثم أصبح بعد مدة قليلية مساعد ضابط في الجيش البريطاني البحري بين بليموث(Plymouth) ونيويورك. وفي بليموث التقى بسارة ساندرز(Sara Sandars) تعرف عليها وهي شابة لا زالت في مقتبل عمرها، فتزوج بها، ومن ذلك استقر والد إيرفنج في نيويورك. وأما من ناحية العقيدة فكان أبوه ينتمي إلى الكنسية المشيخة،[1] أما أمها فكانت ترجع في عقيدتها إلى الكنيسة الإنكليكانية.[2] وقد أدى هذا الاختلاف العقائدي بين أبويه في تنشئة جو عائلي يسوده التسامح الديني والذي ظل منعكسا على رؤية إيرفنج طوال حياته في التعامل مع الآخر وعدم تطرفه في كتاباته.[3]

حياته العلمية:

لا توجد هناك معلومات تؤكد أن إيرفنج كان عبقريا من طفولته، غير أنه كان لطيفا بأقرانه، مولعا بقراءة القصص والرويات الخيالية التي كانت متوفرة للقراءة آن ذك. وكان لهذه الرغبة والذوق الأدبي أثر بارز في توجهاته الاجتماعية والأدبية، ومن جانب آخر جعلته محبا للسفر والمجازفة، معجبا بالمسرح والدراما. وفي النهاية قاد اهتمامه ذك بالقراءة والأدب إلى النادي الاجتماعي والثقافي في نيويورك الذي يعرف بـ التسعة البارزون(The Nine Wrthies).[4]

أكمل إيرفنج دراسته في سن السادسة عشر، وكانت شهادته تؤهله للالتحاق بالجامعة للدراسة العليا، لكنه لم يلتحق بها، لعدم رغبته في احتراف مهنة معينة. وبعد أن قام برحلة إلى أوربا للعلاج الطبي بين عامي 1804-1806م، تقدم للامتحان بمساعة مدرسة هوفمان() ليحصل على شهادة الحقوق ليصبح محاميا في محلة Wall street، لكنه سرعان ما توقف عن ممارسة المحاماة بسبب عدم رغبته في هذه المهنة.[5]

إيرفنج كاتبا:

كما ذكرنا آنفا أن إيرفنج كان مولعا بالقراءة، وخاصة بقراءة القصص والرويات، فإنه بدأ حياته العملية ككاتب وأديب من سن مبكر، ثم طوال حياته عاش مع هذا الفن، وبسبب كتاباتها المبكرة وأسلوبه الذي يتصف بالبساطة والوضوح والمباشرة جعل الأعمال الخيالية القصيرة قالبا أدبيا واعيا فقد عرف في الغالب بـ "رجل الرسائل الأمريكي الأول"، و "عميد الأدب الأمريكي" و"مبتدع القصة القصيرة".[6]

وخلال العام 1807-1808م بدأ في تأليف سلسلة من المقالات الدورية بعنوان: الخليط(Salmagundi) بالاشتراك مع أخويه وليم وبيتر، وصديقه جيمس كيرك بولندغ، حاولوا من خلالها بتبلور فلسفتهم في مستقبل العالم، فكانوا يميلون إلى أن الموجود والواقع هو أفضل ما يمكن تحقيقه، ويرفعون شعارهم: العالم أن يكون كما ينبغي(The World as it goes)، لكن بالرغم من إيمانهم بهذا لم يتوقفوا عن مهاجمة العالم النمطي والروتيني آن ذك، مع سخريتهم من مطامع وتطلعات المدعين

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

السياسين والناس من الطبقات العليا في المجتمع، إضافة إلى ذلك النقد المسرحي الساخر في دعوتهم إلى الحرب ضد التخلف وانحطاط الصناعات في أمريكا آن ذك.

ومن الجدير بالذكر أن إيرفنج قام بتأليف كتاب لفت أنظار القراء والمهتمين بالأدب والتاريخ، وليجلب له الشهرة الكبيرة ليس في أمريكا فحسب بل حتى في خارجها وفي بريطانيا على وجه التحديد. وهذا العمل هو كتابه المشهور بعنوان: تاريخ مدينة نيويورك (History of New York)، بتوقيع واسم شخص مستعار، هو: ديرديش نيكر بوكر(Dierdrisch Kvicker bckers) بحيث ظل هذا الاسم رمزا لإرفنج وفئته التي تميل إلى الأدب الساخر في أمريكا.[7]

رحلته إلى إسبانيا وتأليف كتاب محمد وخلفاءه:

ظل إيرفنج مولعا بالكتابة والقراءة، ولم تتخل عن شغله الشاغل حتى في سفره إلى بلاد أخرى، فقام بالرحلة إلى ألمانيا وفرنسا، وإيطاليا وإسبانيا. واستفاد من رحلاته بالتعرف على الكتاب ومن تجاربهم في هذه البلاد، واستنتج من ذلك أنه لا زال بحاجة إلى التحفيز والإثارة وزيادة الاطلاع فكان اختياره للسفر والترحال لتحقيق ذلك الهدف في توسيع علاقاته واتصالاته الخارجية. وللحصول على العيش الرغيد والمستقر حاول أن يجد وسيلة له في هذه البلاد لكنه فشل، وفي عام 1816م دعته السفارة الأمريكية في مدينة مدريد بأسبانيا، لتكلفه بترجمة كتاب: حياة كولمبس، ومن هنا وجد إيرفنج فرصة جديدة ومرحلة حاسمة في حياته لتكوين شخصيته وتطوير أفكاره وتوجهاته، وامتدت هذه المرحلة من سنة 1816م إلى سنة 1819م، وخلالها قد استعاد مكانته الأدبية، وقام بأعمال أدبية وصلته إلى مكانة مرموقة في تاريخ الأدب الأمريكي. ولنجاحه الذي حققه عند ترجمته لكتاب: حياة كرستوفر كولمبس، وإضافة إلى هذه الترجمة تأليف كتاب مستقل أسماه: رفاق كولمبس، قد كان له أثرا كبيرا في الكشف عن إمكاناته الأدبية. وقضى إير فنج تلك المدة بين المكتبات والمؤلفات جامعا مادة كبيرة عن التأريخ العربي، فكان لايترك صغيرة ولا كبيرة تهم الحقبة العربية الإسلامية إلا اقتصها وسجلها لكي يضيفها إلى مؤلفاته. وبعد عودته من إسبانيا إلى نيويورك عام 1836م، بدأ ينقح ما كتبه في إسبانيا محاولا الاطلاع والمعرفة على المؤلفات التي تهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه حتى أتاح له هذا الجهد المستمر نشر كتباه حياة محمد وخلفائه عام 1850م، وبه أصبحت شخصية مهمة للشرق والغرب معا. وكذلك اهتم في نفس المدة التي كتب فيها عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم بسيرة غولد سميت، وكتاب عن قصر الحمراء[8]، وقد وافاه الأجل في 28 تشرين الثاني عام 1859م.[9]

التعارف بالكتاب: محمد وخلفاؤه

ألف إيرفنج هذا الكتاب أثناء إقامته في إسبانيا، ثم نشره في أمريكا عام 1850م كما مر آنفا، يتكون الكتاب من جزئين، الجزء الأول منه يحتوي على أحداث السيرة النبوية من الولادة إلى وفاة الرسول

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

صلى الله عليه وسلم، والثاني منه يحتوي على أحداث سيرة الخلفاء الأربعة الراشيدين. يتألف الجزء الأول من تسعة وثلاثين فصلا، احتوى كل فصل منها على عدة أفكار وموضوعات من أحداث السيرة النبوية ذات الصلة أو المترتبطة بعضها ببعض.

خص الفصل الأول من كتابه لتقديم صورة عامة عن الجزيرة العربية وسكانها، وعن ديانتهم وأصولهم. وجعل الفصول الخمسة الأولى بيانا للدوافع الزمنية والمكانية، والاجتماعية والثقافية التي أدت دورا بارزا في تكوين شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ككونه هاديا ومصلحا قام بحركة إصلاحية عظيمة في الظروف المناسبة والمتاحة لها، لأن العالم قد انحدر إلى الوثنية العمياء، كما تحدث في هذه الفصول عن ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أحداث حياته من الرضاعة والتربية والتجارة والزواج، على طراز المؤلفين لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.[10]

ثم ناقش في الفصول من السادس وحتى الفصل الثالث عشر الكيفية التي أوصلت الرسول روحيا إلى تأسيس العقيدة الإسلامية وإعلانه لنفسه بأنه رسول من الله تعالى حتى آمن الناس به وأصبح له أتباع واجهوا معه العذاب والآلام من أبناء قومه، وتعرضوا لأشد أنواع الاضطهاد من أبناء جلدته، مما اضطرهم إلى الهجرة، الحبشة أولا ثم المدينة المنورة ثانيا. وخصص الفصل الثامن منها لشرح أسس العقيدة الإسلامية ووازنها في بعضها بالعقيدة المسيحية، كما أشار إلى نقاط اتفاقها واختلافها. أما الفصول من الرابع عشر حتى الفصل الأخير فهي المرحلة المدنية التي يرى إرفنج أنها اختلفت عن سابقتها وأن الرسول قد أصبح له نظرة جديدة في التعامل مع المعادين له ولدعوته. ومن بين هذه الفصول أفرد الفصل السادس عشر الذي عنونه بـ(The Sword announced as the instrument of Faith[11]) لتوضيح نظرته ودراسته للسيرة النبوية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وهي عنده: أن السيف أصبح بديلا عن الحجة والإقناع، يتحدث عن نظرته قائلا: إلى الآن كيف أن الرسول اعتمد العقل والإقناع بالدين، وبهذه الطريقة كان صحابته يبشرون، وهو يحثهم على الصبر وتحمل المعاناة الطويلة من عنف خصومهم بشكل يشبه ما حصل مع أتباع المسيح عليه السلام: فمن ضربك على خدك الأيمن أدر له الأيسر. حيث وقفت الدعوة المسيحية عند هذا بغياب المسيح عليه السلام. أما الآن فقد وصل الرسول إلى المرحلة التي تقضي فراق هذه الروح السماوية في الدعوة بالأرض، فطبع دينه بطابع الواقع الأرضي الذي وإن كان يتعارض مع ذاتيته الإنسانية الراقية..."[12]وهذه مقدمة خاطئة لما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالجهاد والقتال من قبل الله تعالى.

أما الفصل الأخير الذي خصه للدراسة عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كإنسان ورسول، وعن حياته وسلوكه وقدراته العقلية والروحية، فتحدث عن حياته وأخلاقه الفاضلة، وبين لنا أنه على الرغم من تلك الانتصارات التي حازها محد صلى الله عليه وسلم، حيث امتدت الدولة الإسلامية

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

إلى جميع الجزيرة العربية، ظلت تصرفاته الصورة النموذجية للبساطة والتواضع التي اتصف بها جميع تصرفاته حتى وفاته. كما أورد أفكاره حول القرآن الكريم ككونه معجزة خالدة ودليلا قاطعا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وككونه كتابا صالحا لمخاطبة البشرية — في أي عصر كانت وعاشت- لإسلوبه الإعجازي والمنفرد.[13]

كذلك تحدث عن الجانب الجهادي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة المنورة، وقد لخص رأيه في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الجهادية، وهي عنده شخصية لا تسعى إلى الحرب للحرب وإراقة الدماء، وأنها من صنع الظروف في المدينة لا التخطيط المسبق، وأن الرسول جعل القوى التي كانت تفتك ببعضها نحو الأخوة الإسلامية في إيمان واحد، وجعلها أهلا لأن تحمل رسالة الإسلام إلى كل أمم الأرض، لا لهدف حربي توسعي يهدف إلى التوسع والسيطرة العمياء، بل لهدف جهادي يهدف إلى توعية شعوب الأرض بمعنى المطلق الله الواحد، وهذا ما جعله إرفنج ثمرة الجهاد.[14]

مصادر كتاب إرفنج –محمد وخلفاؤه– والغرض من تأليفه:

من السهل جدا الوصول إلى معرفة مصادر كتاب محمد وخلفاؤه عند إرفنج، وعن معرفة غرض تأليفه، فإنه أشار إلى هذين الأمرين في مقدمة كتابه بأسلوب ينم عن الإيجاز والتحديد. فأورد في مقدمة كتابه أنه أثناء إقامته في إسبانيا وحيث كان مهتما هناك بالقراءة والكتابة عن سلسلة كتب تصور فترة سيطرة العرب على إسبانيا، تولدت لديه الفكرة بأن يقدم أولا وقبل كل كتاب، صورة عن مؤسس العقيدة الإسلامية، والمحرك الأول للفتح العربي، فبدأ بجمع المعلومات حول الموضوع، واعتمد في معظم مراجعه على المراجع الإسبانية، وعلى ما ترجم للمؤرخ العربي ابن كثير أبو الفداء، في النسخة التى وجدها في المكتبة اليسوعية لدير سانت إيزيدور، في مدريد.(Jesuits' Library of the Convent of Stlsidro, at Madrid)[15]

وإلى جانب هذا اعتمد على ما كتب من سبقوه إلى هذا الموضوع- حياة الرسول صلى الله عليه وسلم- من أمثال الدكتور غوستاف ويل وآخرون. وهذا يدل على أنه اعتمد على قسمين من المراجع، الأولى: هي المراجع العربية المترجمة إلى اللغة الإسبانية أو الإنكليزية، والثانية، هي المراجع الغربية التي قام بها من سبقوه إلى تناول حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولما أنه لم يذكر الهوامش لنقل حدث ذكره، فقد لا يمكن للقارئ الوقوف على الأصل الذي نقل عنه الحدث، اللم إلا بعض إشارات ترشد القارئ إلى مصدره، بذكر اسم كتاب أو مؤلفه.[16]

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

المبحث الثاني: المعجزات

تعريف المعجزة:

المعجزة اسم فاعل مأخوذ من العجز، وهو مقابل القدرة، وهي في العرف والاصطلاح: "الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي، الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".[17]

شروط المعجزة:

ويعرف من هذا التعريف أن للمعجزة بعض شروط لا بد من تحققها فيها، فمنها مثلا: أن تكون المعجزة خارقة للعادة، وأن تكون مقرونة بالتحدي، وهو طلب المعارضة، وأن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم:

قد ذكر المؤرخون وأصحاب السير وحتى المحدثون عددا كبيرا من المعجزات لتكون آيات بينات وبراهين قاطعة على صدق نبوته وحقية رسالته. يقول الإمام ابن تيمية في ذلك: "الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحوذلك، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب ولا في السنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان".[18]

وسنذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر والإحصاء، ونكتفي بالذكر منها ما جاء في الصحيح للبخاري والصحيح لمسلم، كما نكتفي بالإشارة إلى الباب الذي روى الشيخان فيه الحديث الذي يشتمل على بيان معجزة، لأننا لو أوردنا تلك الأحاديث –النصوص– كلها هنا لطال بنا الموضوع، وقد خرجنا عن إطارنا. وما نريد من هذا إلا أن نثبت أن ما أنكره واشنطن إرفينج بأي معجزة سوى القرآن الكريم، وجعل كل ذلك الروايات والأحاديث تقاليد عربية وسماها أحيانا أساطير ورويات مختلقة، فهو أمر بعيد جدا عن المنطق والعقل والمنهج.

معجزة شق الصدر: معجزة شق الصدر قبل المعراج، وقد روى الإمام البخاري حديثا فيها عن أبي ذر رضي الله عنه في باب ذكر إدريس عليه السلم، والإمام المسلم في باب الإسراء والمعراج..[19]

معجزة انشقاق القمر: روى الإمام البخاري فيها حديثا عن أنس بن مالك رضي الله عنه في باب انشقاق القمر.[20]

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

معجزة إشارته إلى الأصنام فتخر لقفاها: أخرج البخاري فيها حديثا عن عبد الله رضي الله عنه، في كتاب المغازي، وكذلك في باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟ وأيضا في باب قوله تعالى: "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"[21]

معجزة انقياد الشجرة له كالبعير المخشوش: روى الإمام المسلم فيها حديثا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.[22]

معجزة تسبيح الطعام بين يديه وهو يؤكل: أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله رضي الله عنه في باب علامات النبوة في الإسلام.[23]

معجزة حنين الجذع له: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن ابن عمر رضي الله عنه، في باب علامات النبوة في الإسلام.[24]

معجزة قصة غرماء جابر بن عبد الله رضي الله عنه: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في باب علامات النبوة في الإسلام.[25]

معجزة إخباره بالشاة المسمومة: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن أبي هريرة رضي الله عنه، في باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى، وفي باب غزوة خيبر عن عائشة وكذلك في باب الشاة التي سمت للنبي صلى الله عليه وسلم وفي باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.[26]

معجزة الإسراء والمعراج: روى الإمام المسلم في ذلك حديثا طويلا عن أنس بن مالك رضي الله عنه في باب الإسراء برسول الله عليه وسلم.[27]

معجزة قصعة الصديق رضي الله عنه: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، في باب السمر مع الضيف والأهل، وفي باب علامات النبوة في الإسلام، وفي باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.[28]

معجزة تكثير شعير عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن عائشة رضي الله عنها في باب فضل الفقر، والمسلم في باب الزهد والرقاق.[29]

معجزة تكثير اللبن: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا في باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.[30]

معجزة نبع الماء بين أصابعه الشريفة: روى الإمام البخاري في ذلك حديثا عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، في باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، وفي باب علامات النبوة في الإسلام، والإمام المسلم في باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.[31]

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

معجزة عين ماء تبوك: روى الإمام المسلم في ذلك حديثا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.[32]

معجزة ارتفاع ماء بئر الحديبية: روى البخاري في ذلك حديثا عن البراء رضي الله عنه، في باب علامات النبوة في الإسلام، وعن جابر رضي الله عنه في باب قوله تعالى"إذ يبايعونك تحت الشجرة" وعنه في باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة. [33]

رأي إرفينج في المعجزات

نجد إرفينج ينص بكل صراحة بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما سوى ذلك فهو مختلق ومدسوس عليه –صلى الله عليه وسلم– والعجب كل العجب في الأمر أنه ينسب هذا –الإنكار– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاته، نلاحظ قوله في الباب التاسع والثلاثين من كتابه محمد وخلفاؤه:" والواقع، أن هناك الكثير الكثير مما وضع على الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث والسير عند المشارقة، أما الغرب المسيحي فقد اعتبر كل رؤاه ووحيه باطلا وغير حقيقي أو وهميا على أحسن تقدير، ونحن حين ننظر بكل هذه الملابسات نستطيع أن نؤكد أن الكثير مما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مزيف ومدخول ومدسوس عليه، سواء بالمبالغات التي نسبت إليه صلى الله عليه وسلم أو بما اتهم فيه وقيل باسمه. فهو لم يدع أي معجزة سوى القرآن الكريم، فالمعجزات المنسوبة له مختلقة من المسلمين الغيورين بغير تبصر، لأنه أكد في غير مناسبة نفيه لأي معجزة سوى القرآن الكريم، الذي يعتبر من أعجز وأفضل ما قدم إلى البشرية من نص مكتوب، لا يمكن ولا بأي حال من الأحوال مقارنته بسواه من النصوص، والطريقة التي فيها أنزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم جعلت من سبب النزول حادثة تبرر صلاح النص القرآني لكل زمان ومكان، حتى بغض النظر عن تلك الحادثة، وبحالة عدم الإلمام بها أو معرفتها، وتلك هي المعجزة الكبرى من معجزات القرآن الكريم".[34]

ومن الملاحظ في هذا النص أن إرفينج قد ذكر أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبى صلى الله عليه وسلم، ولا ذكر لمعجزات أخرى سواه فى حين أن القرآن الكريم قد حوى فى ثناياه حديثا عن بعض المعجزات المادية التى أيد الله بها سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من ذلك انشقاق القمر، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"[35] يقول الإمام القرطبى "قد ثبت بنقل العدول أن القمر قد انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل وكانت آية باستدعاء النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند التحدى. وكذلك الإسراء معجزة ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[36] كذلك خصص من الباب التاسع فصلا لإبراز رأيه في المعجزات التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاء قوله فيه: "سجل بعض المؤرخين العرب أن بعض أتباع الرسول انضموا في يوم من الأيام إلى

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

صرخة المطالبة بالمعجزات، ليثبت صدق رسالته بتحويل هضبة الصفا ذهبا ومثل هؤلاء المؤرخين الغيورين أرادو بإخلاص خدمة هدف الإسلام فاختلقوا قصصا على أنها تؤيد الإسلام وهي على العكس تماما، فادعوا أنه خضع لهذا الطلب وأكد لأتباعه ظهور جبريل له ليخبره أن الله تعالى سيحقق لهم معجزتهم المطلوبة، لكن كل من لا يؤمن بعدها سيمحى من الوجود، وشفقة عليهم كجيل عنيد بدون بدون فهم لم يعرضهم لإمكان هذا التدمير، لذلك سمح لهضبة الصفا أن تظل على حالها. ومؤرخون آخرون أكدوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج عن قاعدته هذه وقام ببعض المعجزات أحيانا عندما رأى بطء إيمان سامعيه، وهكذا أخبرونا أنه مرة أمام الجمهور دعا إليه ثورا وأخذ من قرينه لفافة بها آيات من القرآن نزلت لتوها من السماء، ومرة ثانية وبينما كان يكلمهم ويعظهم نزلت على كتفيه حمامة، وهمست في أذنه كملاك من الله، ومرة ثالثة أمر الأرض أن تنشق على جرتين بإحداهما الحليب وبالأخرى العسل كدليل وبرهان ووعد من السماء على من شاهدها بضرورة طاعة قوانينه. والواقع أنه لا يوجد ما يؤكد حضول هذه المعجزات من روايات الصحابة لتأكيد وفرض الاعتقاد الإسلامي عبر المعجزات التي طلبها الأتباع، فقد اعتمد الرسول كما هو واضح ومؤكد على العقل وحده وصفاء السريرة التي تدعم الاعتقاد الديني منذ بداية مراحل رسالته ".[37]

كذلك ذكر أسطورة الحكيم –حبيب بن مالك– حيث آمن بعد أن رأى القمر يدخل في جيبه الأيمن ويخرج من الأيسر، وتصح ابنته المريضة حسب ما تقوله القصة، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأمور، فآمن معه أربع مائة من أتباعه والمشركون حاضرون الحدث، لكنهم بقوا على عنادهم وجعلوا كل هذا الأمر سحر وشعوذة. ثم نسب هذه القصة إلى المؤرخين المسلمين العرب، وخص منهم ابن كثير.[38] ونحن إذا بحثنا عنها لم نجدلها أي أثر لا من قريب ولا من بعيد عند ابن كثير وآخرين من أهل السير. وفي نهايتها أبدى رأيه في المعجزات قائلا: " وجدير بالبيان أن الرسول لم يدع أي معجزة غير القرآن، لكن أمثال المؤرخ –أبو الفداء– وغيره في التقاليد العربية أصروا على نسب هذه المعجزة وسواها إليه مما وضعوه على الرسول".[39]

أما في الإسراء والمعراج، فبعد أن أورد كل ما حدث ليلة الإسراء، يبدي رأيه قائلا:" إن الإسراء ممكن أن يكون قد حصل بالروح، لكن القصة ككل وصلتنا بالخبر عبر التقاليد، رغم أن هناك تأكيدات لم تحدد تفاصيلها في القرآن، فصارت مجالا واسعا لأساطير المسلمين، وكلما زادت هذه الأساطير كانت تزداد صفة التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم التي بدأتها قريش".[40]

بعد أن استعرضنا من أقوال إرفينج نستطيع القول بأنه لو أراد بإنكار كل ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم– سواء كان من قبل المسلمين أو من قبل غير المسلمين– من قصص مختلقة وأساطير كاذبة وذاته الأقدس بريء منها، ، ففي هذا يجب أن يوافقه كل ذي عقل سليم. أما لو أراد منه إنكار وجود

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

المعجزات الحسية والمادية للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي جعلها الله تعالى كالبراهين القاطعة على رسالته، وهي التي وصلت إلينا عبر الأخبار الموثوقة فلا ينكرها إلا من جحد وكفر.

النتائج:

قد وصلنا من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج، نورد مخلصها فيما يلي:

1- يعد إرفينج من رواد الأدب الأمريكي في عصره، بحيث كان كاتبا روائيا وأديبا بلا منازع.

2- عاش في إسبانيا وشاهد الآثار المتبقية من التاريخ العربي الإسلامي العريق، وذلك مما أثر في نظرته إلى التاريخ الإسلامي ككل.

3- كتابه: محمد وخلفاؤه قد أتاح له شهرة فائقة بين أقرانه من الكتاب والأدباء في عصره.

4- اختار أسلوبا قصصيا لكتابة أحداث ووقائع السيرة النبوية الشريفة. ولم يذكر الهوامش لما نقله من مصادر السيرة، ولا حدد عمن أخذ منه معلومة تاريخية إلا نادرا. أما الأحداث التاريخية للسيرة النبوية فقد جاءت موافقة في معظمها لما جاءت في مصادر السيرة الموثوقة عند المسلمين.

5- أما بالنسبة لموضوع هذا البحث، فبعد قراءتنا لكتابه قاصدين معرفة رأيه في المعجزات، فنؤكد القول بأنه أقر دون مرة بكون القرآن الكريم معجزة خالدة وكبيرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

6- والمعجزات الأخرى، اللتي ذكرنا لها أمثلة من الصحيح للبخاري والصحيح لمسلم، فقد أنكرها صراحة دون مرة في هذا الكتاب.

7- نراه في إنكار المعجزات متابعا قول المستشرقين الآخرين ممن سبقوا إلى إنكارها من أمثالGagnier، والدكتور غوستاف فيل وآخرين.

الهوامش والإحالات

[1] -المشيخية (أو النظام المشيخي أو البريسبيتاريّة) تشير إلى عدة كنائس مسيحية تتبع تعاليم العالم اللاهوتي البروتستانتي جون كالفين وتنظم تحت حكم مجالس شيوخ بشكل ديمقراطي. فيوجد في كل مجمع دورة مكونة من شيوخ حاكمين وشيوخ معلمين. الشيوخ الحاكمون مسؤولون عن حكم وانضباط الكنيسة، والشيوخ المعلمون مسؤولون عن الوعظ الكتابي وتدبير الأسرار المقدسة (التي يوجد منها اثنان فقط في الكنائس البروتستانتية، وهي المعمودية والعشاء الرباني). وبالإضافة إلى الشيوخ، يوجد في كل مجمع شمامسة مسؤولون عن الأمور المادية مثل التبرعات والحاجات الخيرية. ويكبيديا الموسوعة الحرة.

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

[2] – الانكليكانية(Anglican)، وهي: إحدى الفرق النصرانية تنتمي إلى الكنيسة الانكليزنة، وتمثل أحد المذاهب الريئسية الثلاث التي انفصلت عن البابوية، في اصلاحات القرن السادس عشر، ينظر، انساكلوبيديا برطانية، 886/1.

[3] – ينظر، سامى أحمد الزهور، الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية، إيرفنج نموذجا، رسالة قدم بها الطالب لنيل درجة ماجستير من جامعة تكريت في التاريخ الإسلامي تحت إشراف الدكتور عبد الجبار الناجي، للعام الجامعي، 2004م، ص:83-84

[4] – ويلبس، ويجر، الأدب الأمريكي، الترجمة، نظمي لوقا، دار المعارف، مصر، ص: 57.

[5] – جبر، د. جميل، الأدب الأمريكي في مختلف عصوره، دار الثقافة، بيروت، ص: 22

[6] – الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية، ص: 86

[7] – نفس المصدر، ص: 32

[8] – وعندما نتثبت من كل نقطة على حدة نجد أن ترجمة للوثائق إلى الإنكليزية وما أضاف إليها في كتاباته عن رفاق كولمبس لم تكن ذات أهمية حتى عند إرفنج نفسه، ولو كانت كذلك لما استغنى عنها بسهولة، فالذي أمده بالشهرة والفخر والكبرياء لا يمكن لعاقل أن يتنازل عنه، إذا لم يبق أمامنا سوى ما كتبه عن العرب المسلمين وهذا ما يؤكده الأستاذ لويس ليرى أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة حيث قال: "لقد غرق إرفنج عقب ظهور كتابه قصر الحمراء في فيض من الشهرة والمجد"، وقال عنه : "إن كتاب قصر الحمراء هو الذي بعث صيت إرفنج بوصفه أكبر كاتب للنثر في عصره". العرب اسماعيل، المصدر السابق، ص: 62.

[9] – اسماعيل، مقدمة كتاب قصر الحمراء لإرفنج، ص: 12، ينظر تفصيلات العلاقات الأمريكية الأسبانية الفصل الثالث من كتاب، Morison, Samuel Eliot and Commager, Henry Steele, The Growth ot the American Replic, 4th Ed, Oxpford University , Press, 1950.

[10] – راجع ترجمة كتاب: حياة محمد وخلفائه للدكتور هاني يحيى نصري، ط1، 1999م، المركز الثقافي العربي، بيرت، من صفحة 75 إلى 111، كذلك أصل الكتاب: محمد وخلفاؤه في الإنكليزية من صفحة 29 إلى 45.

[11] – Washington Irving, Muhamet and his Successors, The co-operative publication society Inc, ch,16,P114.

[12] – حياة محد وخلفاءه، ترجمة يحيى انصاري، ص: 210.

[13] – يرجع إلى حياة محمد وخلفاؤه، من ص:451 وما بعدها.

[14] – راجع، حياة محمد وخلفاؤه، ص: 458 وما بعدها. وكذلك راجع ....

[15] – Mahmet and his Successors, Washington Irving, ch1,p15

[16] – مقدمة كتاب إرفنج، ص:60. كذلك راجع أصل الكتاب، حياة محمد وخلفاؤه، الجزء الأول، ص: 15

[17] – أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الخطيب، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 346/2.

[18] – محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين، دمشق، 1402م، 278/2

[19] – البخاري، الصحيح،ط1، 1422هـ، دار طوق النجاة، 135/4، رقم الحديث، 3342. كذلك راجع الصحيح لمسلم، 148/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان.

UOCHJRS, ISSN: 2616-6496, Vol. 4 | Issue |June-December 2020
DOI:

[20] – البخاري، 49/5، والمسلم، 2159/4.

[21] – البخاري، 148/5، و كذلك 86/6.

[22] – المسلم، 2306/4.

[23] – البخاري، 194/4.

[24] – البخاري، 195/4

[25] – البخاري، 194/4.

[26] – البخاري، 99/4، 140/5-141، 7/ 139.

[27] – الصحيح لمسلم، 145/1.

[28] – البخاري، 124/1، 4/ 194، 1627/3.

[29] – البخاري، 96/8، المسلم، 2282/4

[30] – البخاري، 96/8

[31] – البخاري، 45/1، 192/4، والصحيح لمسلم، 1783/4.

[32] – الصحيح لمسلم، 1784/4.

[33] – البخاري، 193/4، 136/6، والمسلم، 1483/3.

[34] – حياة محمد وخلفاؤه، ترجمة الدكتور هاني يحيى، ص: 453.

[35] – القمر: 1

[36] – الإسراء:1

[37] – حياة محمد وخلفاؤه، ترجمة الدكتور هاني يحيى، ص: 136-37

[38] – المصدر السابق، ص: 149 وما بعدها.

[39] – حياة محد وخلفاؤه، ص: 153.

[40] – حياة محد وخفاؤه، ص: 180.